موقع التفريغ
للدروس العلميّة والبحوث الشرعيّة
www.attafreegh.com

تعليقات

الشَّيخ صالح بن عبد الله العُصيمي

علىٰ

قَصيدَةُ في السَّيْرِ إلى اللّٰهِ والدَّارِ الآخِرَةِ

للعلامة عبد الرَّحمٰن بْنِ نَاصِرِ السِّعْدِيِّ

تفريغ: عبد الكريم الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولىٰ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الدين يسرا بلا حرج، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث بالحنيفية السمحة دون عوج وعلىٰ آله وصحبه ومن علىٰ سبيلهم درج.

أما بعد..

فهذا شرح كتاب «قصيدة في السير إلىٰ الله والدار الآخرة» وهو الكتاب السادس عشر من المرحلة الأولىٰ في برنامج تيسير العلم في سنته الأولىٰ، وهو للعلامة عبد الرَّحمٰن بن ناصر ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو الكتاب السادس عشر التعداد العام لكتب البرنامج.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

قَالَ الشَّيخُ العَلامَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السِّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَصِيْدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بـ«قَصيدَة في السَّيْرِ إلىٰ اللهِ والدَّارِ الآخِرَةِ»:

سَعِدَ[1] الَّذينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَىٰ ... وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرُّضْوَانِ
فَهُمُ الَّذينَ قد أَخْلَصُوا في مَشْيِهِمْ ... مُتَسَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإيمانِ
وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ ... بَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ لِلدَيَّانِ
وَهُمُ الَّذينَ مَلا الإلَهُ قُلُوبَهُمْ ... بِوِدَادِهِ ومحَبَّةِ الرَّحمَنِ
وَهُمُ الَّذينَ قَدَ أَكْثروا مِنْ ذِكْرِهِ ... في السِّرِّ والإعْلانِ وَالأَحْيَانِ
يَتَقَرَّبُونَ إلَىٰ الْمَلِيكِ بِفِعْلِهِمْ ... طَاعَاتِهِ وَالتَّرْكِ للعِصْيَانِ
فِعْلُ الفَرَائِضِ وَالنَّوافِلِ دَأْبُهُمْ ... مَعَ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ والنُّقْصَانِ
صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَىٰ المَكارِهِ كُلِّهَا ... شَوْقًا إلىٰ مَا فِيهِ مِنْ إحْسَانِ
نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَىٰ فَهُمُ بِهَا ... قَدْ أَصْبحُوا فِي جُنَّةٍ وأَمَانِ
شَكَرُوا الَّذي أَوْلَىٰ الخَلائِقَ فَضْلَهُ ... بالقَلْبِ والأَقْوَالِ والأَرْكَانِ
صَحِبُوا التَّوكُّلَ في جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ... مَعَ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَىٰ الرَّحْمَنِ
عَبَدُوا الإلَهَ عَلَىٰ اعْتِقَادِ حُضُورِهِ ... فَتَبَوَّؤُوا فِي مَنْزِلِ الإحْسَانِ
نَصَحُوا الخليقَةَ فِي رِضَىٰ مَحْبُوبِهِم ... بِالعِلْمِ والإرْشَادِ وَالإحْسَانِ
صَحِبُوا الخَلائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا ... أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي
بِاللهِ دَعْوَاتِ المشَاهِدِ كُلِّهَا ... خَوْفًا عَلَىٰ الإيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ
عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا ... قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَىٰ الرَّحْمَنِ
حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ ... لِلَّهِ لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ
نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتي ... تُفْضِي إلَىٰ الخَيْرَاتِ وَالإحْسَانِ

أجلُّ المقاصد المرادة والغايات المقصودة هي الوصول إلىٰ الله ﷻ، وهو وصول القلوب إليه، بدوام العكوف بين يديه، والملازمة لأمره ونهيه، وهي التي أشار إليها المتكلمون في أحوال القلوب: بالسير إلىٰ الله، ومرادهم كما ذكر أبو الفرج بن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: سلوك صراطه المستقيم. فالسائر إلىٰ الله سالكٌ علىٰ صراطه المستقيم، وقد أضاف الله ﷻ هذا الصراط إليهم فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ

---

(١) قال الشيخ صالح العصيمي: قال لي الشيخ عقيل أنهم سمعوها من الشيخ (سَعد) علىٰ إرادة الدعاء.

عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧].

فحمل هذا المأخذ جماعة من المصنفين فيه علىٰ ذكر منازل السير إلىٰ الله باعتبار إضافتها إلىٰ أولئك السائرين ومنهم الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه قصد الإشارة إلىٰ جملة من منازل العبادة فساقها منسوبة إلىٰ الممتثلين لها السالكين صراط الله المستقيم، فاستفتح ما ذكره من خلالهم وخصالهم الحميدة ببشارتهم بالسَّعادة، فقال:

(سَعِدَ الَّذينَ تَجنَّبوا سُبُلَ الرَّدَىٰ وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرُّضْوانِ)

و أنبأ أن سعادتهم مدارها علىٰ أمرين:

أولهما: تجنب سبل الردىٰ أي الطرق الهلاك

والثاني: تيمم منازل الرضوان؛ أي قصد منازل الرضوان المحققة لمرضاة الله ﷻ.

وهم جامعون بين هذين الأمرين بين تخلية القلوب عن كل ما يقطعها عن الله، وبين تحليتها بكل ما يسوقها إليه، وقد ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ هٰهنا ما تحلَّوا به فأوجب لهم كمال الحال، ولم يشتغل ببيان ما تخلَّوا عنه، لأنَّ التحلي يثمر التخلي، فإن من ملئ قلبه بالمقامات الكاملة صدته عن التلطف بنجاسات القلوب من الشهوات والشبهات.

فمن جملة منازل سيرهم إخلاصهم لربهم، كما قال:

(هم الَّذينَ قد اخلصوا في مَشْيِهِمْ مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإيمانِ)

والإخلاص: هو تصفية القلب من إرادة غير الله.

فسيرهم إلىٰ الله المشار إليه بقوله: (في مَشْيِهِمْ) واقع علىٰ وجه الإخلاص له، وهم في إخلاصهم متمسكون بالشِّرعة الإيمانية، متابعون للنبي ﷺ.

فقوله: (مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإيمانِ) إشارة إلىٰ متابعتهم النبي ﷺ، وهو شبيه بقول بن القيم في «النونية»:

فلواحد كن واحدا في واحد أعني طريق الحق والإيمان

ومنازل سلوكهم ملازمة الرجاء والخوف، كما قال:

(وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ بَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ لِلدَّيَّانِ)

فقلوبهم مملوءة برجاء الله وخوفه.

وحقيقة رجاء الله: **أمل العبد بربه في حصول المقصود مع بذل الجهد وحسن التوكل.**

وحقيقة الخوف منه: [هروب] القلب إلىٰ الله ذُعْرًا وفَزَعا.

وسير العبد بين الرجاء والخوف سبيل السلامة، فإن من غلّب الرجاء زلّ، ومن غلّب الخوف زلّ، والأمان في كمال الملاقاة بين رجاء الله وخوفه.

ثم ذكر مما يُكمِّل مقاماتهم ملحقا بهذين المقامين محبة الله، فقال:

(وَهُمُ الَّذينَ مَلا الإلَهُ قُلُوبَهُمْ بِوِدَادِهِ ومحَبَّةِ الرَّحمنِ)

والمحبة حقيقتها: تعلق القلب بالله ودوام ملاحظة مرضاته.

والوِدُّ منها: الخالص.

ومحبة الله مع رجاءه وخوفه أركان عبادته، فإن عبادة الله مُشيَّدة علىٰ ثلاثة أركان:

أولها: حب الله، وهو بمنزلة الرأس للطير .

وثانيها وثالثها: رجاء الله وخوفه، وهما بمنزلة الجناحين للطير.

ومن عبد الله بواحد منها ضلّ، ومن استكمل الثلاثة كمُلت عبادته.

والرجاء والخوف ينتهيان إلىٰ حقٍّ مطلوب:

فالمطلوب من الرجاء: ما ملأ قلبك بإحسان الظنّ بالله، مقترنا ببذلك الجهد، وحسن التوكل عليه من غير تهوين لمعصيته.

والمطلوب من الخوف: ما حملك علىٰ أداء الفرائض واجتناب المحرمات، فإن زاد فبلغ العبد الإياس والقنوط من رحمة الله كان محرما

ومحبة الله كما ذكر ابن رجب رجب رَحِمَهُ اللَّهُ فإنها لا تنتهي إلىٰ حدّ، بل كلما استغرق العبد فيها كلما استكمل الإيمان.

ومن منازل سير هؤلاء في سلوكهم الصراط المستقيم إلىٰ ربهم دوام ذكره، كما قال:

(وَهُمُ الَّذينَ قَدَ اكْثروا مِنْ ذِكْرِهِ في السِّرِّ والإعْلانِ وَالأَحْيَانِ)

فجميع أوقاتهم مملوءة بذكر الله، كما أشار بقوله: (الأحيان) أي الأوقات، وهم ملازمون لذكر الله في السرّ الخافي والإعلان البيِّن .

ثم ذكر مقاصدهم أنهم يريدون طلب القُرْب من الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال:

(يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِيكِ بِفِعْلِهِمْ طاعاتِهِ وَالتَّرْكِ للعِصْيَانِ)

فمُحرِّك قلوبهم ووازِع نفوسهم وباعث هِمَمِهِم في السير إلىٰ الله هو طلب القرب منه، وإنَّما يصدق الطالب في قربه إذا كان موافقا لأمر الله وذلك بفعل الطاعة، تاركا لمعصيته وذلك باجتناب مخالفة أمره.

ثم أفصح عن طاعاتهم المفعولة ببيان نوعها، فقال:

(فِعْلُ الفَرَائِضِ وَالنَّوافِلِ دَأْبُهُم مَعَ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ والنُّقْصَانِ)

فالطاعات كلها ترجع إلىٰ هذين النوعين: فعل الفرائض والنوافل.

والفرائض: إسم للشرائع اللازمة لزوما جازما .

وأما **النوافل: فهو اسم للشرائع المأمور لكن لا علىٰ سبيل الإلزام.**

وهما مجموعان في الحديث الإلهيِّ المُخرَّج في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالىٰ: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتىٰ أُحبه... » الحديث.

وهم مع كمال الطاعة والجمع بين الفرائض والنوافل يرون أنفسهم بعين التقصير والنقصان، فلا تحملهم مشاهدة أعمالهم المفعولة علىٰ وجه القربة الإغترار والإدلال علىٰ الله؛ بل هم مع شهود نقصان عملهم وتقصيرهم في جناب ربهم، فهم يفعلون الحسنة ويرجون ثوابها ولا يفخرون بها، وإذا عصوا الله دامت مشاهدتهم للسَّيِّئة مخافة أن تكون موجبة لهم العذاب.

فيُحرِّك خوفُهم من المعصية ورؤيتهم القصور في الحسنة إلىٰ الإستكثار من أعمال القُرَب والطاعات، وإذا صُرف قلب العبد عن هٰذا فأُعجب بحسنته ونسي سيئته فربما كان في ذللك خساره، قال سعيد بن جبير: إن الرجل ليدخل النار بالحسنة يصيبها، وإن الرجل ليدخل الجنة بالسيئة يصيبها.

قال أهل العلم: إن فاعل الحسنة عملها فلم تزل بين ناظريه مُعجبًا بها مغترًّا مُدلِيًا علىٰ ربه ﷻ مُستعلِيا علىٰ خلقه فَزَخَّتْ في قفاه فأدخلته النار، وإن فاعل السيئة لم تزل سيئته بين ناظريه يخاف عاقبتها ويخشىٰ شُؤمها، فهو بمنزلة واقف تحت جدار يخشىٰ أن ينقضَّ عليه، فيحمله خوفه ذلك علىٰ دوام الإقبال علىٰ الله، فيغفر الله له ويدخله الجنة

ثم ذكر من منازل سيرهم الصبر، فقال:

(صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَىٰ المَكارِهِ كُلِّهَا شَوْقًا إلىٰ مَا فِيْهِ مِنْ إِحْسَانِ)

وحقيقة الصبر: حبس النفس علىٰ حكم الله.

وحكم الله نوعان:

أحدهما: حكم الله الشرعي، وحبس النفس عليه: بفعل الطاعة واجتناب المعصية.

والثاني: حكم الله القدَري، وحبس النفس عليه: بالتَّجمُّل وترك الجزَع والتَّسخُّط.

ومع شدة حبس النفس إلا أنهم لا يجدون أثر تلك الكراهة في نفوسهم، لما يحملهم الشوق إلىٰ الإحسان مع الخالق ﷻ في قدَره وشرعه.

و هم أيضا مُتَرَقُّون فوق منزلة الصبر، فقد نزلوا منزلة الرِّضا، فقال:

(نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَىٰ فَهُمُ بِهَا قَدْ أَصْبحُوا فِي جُنَّةٍ وأَمَانِ)

والرِّضا: هو تلقي أحكام الله الشرعية والقدرية بانشراح صدر وسرور نفس.

وهو فوق منزلة الصبر، ففي الرِّضا تَضْمحِلُّ المنازعة ولا يبقىٰ في النفس ما يجذبها من التَّلوُّم علىٰ الأقدار والتَّجزُّع منها.

و منهم قوم هيَّأ الله لهم مقاما أعلىٰ، فنزلوا في منزلة الشكر، فقال:

(شَكَرُوا الَّذي أَوْلَىٰ الخَلائِقَ فَضْلَهُ بِالقَلْبِ والأَقْوَالِ والأَرْكَانِ)

وحقيقة الشكر: هو ظهور ثناء العبد قلبه إقرارا، وعلىٰ لسانه اعترافا، وعلىٰ جوارحه طلبا وتركا.

فالصادق في شكر الله هو الذي يُقرُّ قلبه بنِعَم الله، ويجري لسانُه معترفًا بها، ويُحَرِّك جوارحه وأركانه فيما أحب الله طلبا ويباعد بينها وبين ما كرِهَ الله هربا.

وهٰذه المقامات الثلاثة: الصبر والرِّضا والشكر هي مقامات القلوب في تلقي أحكام الله ﷻ:

فمن الناس من يُرزق الصبر فيَحبِس نفسه مع وجود مَرَارَة.

ومن الناس يكون أكمل حالا فيحبس نفسه ولا يجد للحَبْسِ أثرا، بل هو منشرح الصدر مسرور النفس مَنطلِق الخاطر.

من الناس من هو أكمل من الطائفتين حالا، وهو من تنقلب ملاقاته لأحكام الله فوق الحبس والسرور بها إلىٰ شكر الله ﷻ عليها، فقلبه دائم النظر إلىٰ إظهار الثناء علىٰ الله ﷻ في أحكامه القدرية والشرعية.

ثم ذكر من مقاماتهم تَوكُّلهم علىٰ الله ﷻ، فقال:

(صَحِبُوا التَّوكُّلَ في جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مَعَ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَىٰ الرَّحْمَنِ)

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

فهم يصحبون التوكُّل أمورهم صغيرها وكبيرها.

وحقيقة التوكل: إظهار العبد عجزه واعتماده علىٰ الله، وتوكُّلهم صادق قوي لا مكذوب دَعِيّ، فهم يتوكلون مع بذل جهودهم في موافقة أمر الله طلبا لرضاه، وهم نازلون في مقام الإحسان،كما قال:

(عَبَدُوا الإِلَـهَ عَلَىٰ اعْتِقَادِ حُضُورِهِ   فَتَبَوَّؤوا فِي مَنْزِلِ الإِحْسَانِ)

وهو المُشار إليه في حديث جبريل، وفيه قوله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» جوابا عن سؤاله إياه لما سأله عن الإحسان. رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب.

والإحسان له منزلتان:

أولاهما: عبادة الله علىٰ المشاهدة، في قول النبي ﷺ «أن تعبد الله كأنك تراه».

والثَّانية: عبادة الله علىٰ المراقبة، في قوله ﷺ «فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

ولهم مع الخلق حال وحال، كما قال:

(نَصَحُوا الخليقَةَ فِي رِضَىٰ   بِالعِلْمِ والإِرْشَادِ وَالإحْسَانِ
صَحِبُوا الخَلائِقَ بِالْجُسُومِ وإِنَّمَا   أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي
بِاللهِ دَعْوَاتُ المشَاهِدِ كُلِّهَا   خَوْفًا عَلَىٰ الإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ
عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا   قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَىٰ الرَّحْمَنِ)

فهٰذه الأبيات في بيان حالهم مع الخلق، فإنهم ناصحون لهم في رضا الله ﷻ، يُعلِّمونهم ويُرشدونهم ويحسنون إليهم، لأنهم يعلمون أن الدين النصيحة، كما قال النبي ﷺ في حديث تميم الداري في «صحيح مسلم»، فمَردُّ الدِّين عليه إلىٰ القيام بالنصيحة المتضمِّنة لقيام الناصح بما للمنصوح من حق، ولم يزل من شعائر أهل السنة نصح الخلق مع رحمتهم، قال أبو العباس ابن تيمية الحفيد رَحِمَهُ اللهُ: أهل السنة يعلمون الحق ويرحمون الخلق. انتهىٰ كلامه.

وهم مصاحبون للخلائق بجُسومهم، أما الأرواح فغير واقفة مع رسوم الخلق بل هي مُعلقة بالله ﷻ، فهم يراعون حقائق الإيمان ومشاهد الإحسان في كل وقت وآن خوفا علىٰ إيمانهم من نقصان.

فحيثما جمعتهم المشاهد مع الخلق والتَمَّتْ عليهم المجالس معهم إلا أن بصائرهم نافذة إلىٰ الله وأبصارهم صاعدة إلىٰ خلق الله، فالباطن مُعلق بالله والنظر مُعلق إلىٰ خلق الله، لأن قلوبهم محجوبةٌ عن التشاغل بالخلق مملوءة بكل ما يقرِّب إلىٰ الله، كما قال:

(عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا   قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَىٰ الرَّحْمَنِ)

وحالهم:

(حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ لِلَّهِ لا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ)

و قد أشار رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا البيت إلىٰ ثلاثة أحوال قلبية:

أوَّلها: الحركة وهي مجرَّد الإرادة.

وثانيها: الهمُّ وهي الإرادة المقترنة بالجزم.

وثالثها: العزم والإرادة المقترنة بالجزم مع تَهيُّؤ فعل الأسباب المرادة.

فهي مراتب واحدة فوق أخرىٰ، فالحركة دون الهمّ، والهمّ دون العزم، ومع ذلك فكل حركة تتوجه إليها قلوبهم مجردة أو همّا أو عزما فإنها لله عَزَّ وَجَلَّ، فليس في حركة ولا همّ والا عزم لا للخلق ولا للشيطان.

وإذا كانت هذه هي أحوال السائرين إلىٰ الله الملازمين صراطه المستقيم فلَعَمْري إنهم لنِعم الرفيق، كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي تُفْضِي إِلىٰ الخَيْرَاتِ وَالإِحْسَانِ)

فهم أولىٰ الخلق بطلب الرّفقة لأنهم يُعينون من كان لهم صاحبًا علىٰ سلوك هٰذا الصراط المستقيم وملازمة فعل الخير.

فمن أراد نجاته فاليلزم هذا الصراط المستقيم وليتمسك بالدّين القويم، فإن العبد يحتاج إلىٰ سَوْقِ قلبه إلىٰ الله لكمال فقره، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر].

و إذا حُجبت هٰذه الضرورة فلم يحصل للإنسان الغِنىٰ فيها فقد حُرم الخير كلّه، ومهما كان المرء في لَذاذةٍ من العيش، فإنه إذا لم يلتذَّ قلبه بمعرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنه لا يذوق للسعادة حلاوة، وقد ينال المرء مطلوبه من الدنيا بمال أو غيره، لكنّ المصير إلىٰ هٰذا المقام العظيم بإغناء القلوب بالإقبال علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يناله إلا من امتلأ قلبه بحب الله ورجائه وخوفه، وما لذَّة الحياة وكمال أُنسِها إلا في إقبال القلوب علىٰ ربها وملازمة طاعته ومجانبة معصيته، لأنَّ من أعظم ما يُذيقها العذاب مخالفة أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن عصىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ فإنَّه لا ينشرح له صدرٌ ولا يطمئن له قلب مهما تَقَلَّبَ في لذَّات الدنيا، ومن سار إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقلبه وجَنَّبه دَنَسَ المطالب الإنسانية فقد نال الحظّ الأوفىٰ والقدْر الأَسْمَىٰ من السَّعادة والحياة الطيِّبة.

فينبغي أن يجتهد الإنسان في ملءِ قلبه بكلّ سبب يوصله إلىٰ ربّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يلاحظ قلبه بالنظر

إليه، فلا يكوننَّ الله ﷻ أهون النّاظرين إليك فترىٰ مُتطهِّرا في ظاهرك بطِيب رائحتك وحُسن مَلبَسِك مُلَطَّخًا في باطنك بمعصية الله ﷻ.

وليجتهد العبد في إدراك المنازل الموصِلة إلىٰ جنةِ الرَّحمٰن، فإن الإنسان إن فاته شيء من لذَّات الدنيا لم يخسر، ولكنّ الخسران الأعظم إذا فاتته جنّة أعدّها الله ﷻ للمتقين، وصار العبد بِمَعزِلٍ عمّا آل إليه المُنَعَّمون فيها.

وقد ساقني ما ساق النّاظم رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، فأنشأت قصيدة أُكمِل بها ما قال، أسأل الله ﷻ أن يصلح فساد قلوبنا، وأن يُهَيِّئ لنا ما في رُشدًا من أمرنا، فقلتُ فيها:

يَأَيُّهَا العَبدُ المُريدُ نَجاتَه ... جَدَّ المَسيرُ لجنَّة الرِّضوان
فقرُ القلوب إلىٰ الإلهِ ضرورةٌ ... يا وَيلَ قَلبٍ بَاءَ بالحِرمان
إن كان جِسمُك بالغِذاءِ مُنَعَّمٌ ... كيف السعادةُ دونما عِرفان
من كان يفقِد قلبَه في ربِّه ... أَنَّىٰ يذوقُ حلاوةَ الإيمان
كلُّ المطالِب قد تُنالُ بدِرهَم ... إلا المصيرُ لمنزِل الإحسان
فينالُه من كان يملأُ قلبَه ... حبُّ الإلهِ مُعَطِّرُ الأركان
ورجاؤه أبداً مُؤَمَّلَ ربِّه ... ومخافةُ التعظيم للدَّيان
إنَّ الحياةَ حقيقةً في دينِه ... والموتُ كلّ الموتِ في الكُفران
طاعاتُه سَبَبٌ يُمِدُّ حياتَنا ... ومَوَاتُ قلبِ العبدِ في النُّكران
من كان يحسَبُ أُنسَهُ في مالِه ... و يظنُّ أنَّ الفوزَ في الطُّغيان
قُطِعَ اللَّئيمُ عن الإله وحبِّه ... فهوىٰ به سُفلاً مع النُّكران
سيرُ القلوب إلىٰ الإلهِ يدُلُّها ... للفوز في الدَّارين يا إخوان
قلبُ الموحِّدِ لا يطوفُ بِقبلةٍ ... قد دُنِّسَت بِمَطالبِ الإنسان
فطوافُه شَوقًا بحَضرَةِ قُدْسِهِ ... ومنازِلٍ تُفضي إلىٰ الإيقان
اللهُ أولىٰ إن أَرَدتَ عبادةً ... خابَ المُشرِّكُ والجَحودُ الوان
فَارْبَأْ بقلبك أن يكونَ مُدَنَّسًا ... بنجاسةِ الأهواءِ والشَّيطان
طُهْرُ القلوبِ وُقِيتَ من أَدْرَانِهَا ... أَوْلَىٰ من الأثواب والأبدان
نظرُ الإلهِ إلىٰ القلوب مَحِلُّه ... لا صورةٌ كلَّا ولا تيجاني
فإذا خَشِيتَ سلامةً من لَومَةٍ ... في لِبسَةٍ أو شَمَّةِ الأنتان
فَاخْشَ الإلهَ بأن يراك مُوَسَّخًا ... في لُجَّةٍ تَغْلي من العصيان
واطلُب هُديتَ منازلاً تعلو بها ... فوق العباد بجنَّةِ الرَّحمن

إن فـاتَ زوجٌ أو تَـلَطُّـفُ لُقمَـةٍ　　مـا فـات إلا مُـنعِمُ الحيـوان
خُسْـرُ الخليقـةِ أن تكـونَ بِمَعْـزِلٍ　　عـن ملَّـةِ التوحيـد والإيمـان
هٰـذا الطَّريـقُ إلـىٰ الإلـهِ فَشَـمِّروا　　لا تُحبسـوا في خَنـدَقِ الحِرمـان
هَتَفَ المُنـادي حَادِيًا في جَمعِكـم　　جَـدَّ المَسِـيرُ لِجَنَّـةِ الرِّضـوان

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا معرفته، وأن يملأ قلوبنا بوِداده ومحبته، وأن يجعل عبادتنا بين خوفه ورجائه، و أن يُلهِمنا رُشدنا ويقينا شرَّ أنفسنا، اللّٰهمَّ آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكَّاها أنت وليُّها ومولاها، اللّٰهمَّ إنا نسألك الهدىٰ والتُّقىٰ والعفاف والغِنىٰ، اللّٰهمَّ أحيينا علىٰ الإسلام والسنة وتوفنا علىٰ الإسلام والسنة، اللّٰهمَّ أحينا علىٰ خير حال واقلبنا جميعا إلىٰ خير المآل، اللّٰهمَّ وفِّقنا لفعل الخيرات وحبِّب إلينا إتيان الحسنات وباعد بيننا وبين المعاصي والسيِّئات، اللّٰهمَّ لا تجعلنا فتنة لعبادك المؤمنين، اللّٰهمَّ لا تجعلنا فتنة لعبادك المؤمنين، اللّٰهمَّ لا تجعلنا فتنة لعبادك المؤمنين.

هذا الدرس يا إخوان سيكون آخر الدروس، ويبقىٰ علينا بعض الدروس وذلك لمانع منع من استكمالها، وعسىٰ في ذلك أن يكون خير، ولو كنت أقدر علىٰ منازعة المانع لنازعته، ولا أرىٰ كذلك في نفسي أن أُبديه، ولكنّ الله ﷻ يُهيِّئ لنا إمّا أن نكمل في وقت آخر نحدِّده، أو في أن هٰذا البرنامج إن شاء الله سيُعاد مرة بعد مرة.

۞۞۞۞